١٧ أسباب دفع البلاء

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: أيها المسلمون إن المصائب والكربات التى تصيب المؤمنين

من عباده هي من عند أنفسهم سواء كانت هذه المصائب والنكبات فردية أو جماعية ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى :٣٠] .

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[آل عمران :١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾[آل عمران :١٥٥] .

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة [١] .

وقال ايضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لاير جونَّ عبد الا ربه ولا يخافنَّ الا ذنبه[٢] .

ومن رحمة الله بعباده أنه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- جعل أسبابًا لدفع البلاء قبل نزوله ولرفع البلاء بعد نزوله وهذه الأسباب إما أن تزيل البلاء أو تخفضه بإذن الله على حسب قوة بذل الأسباب والصدق فيها والله المستعان .

عباد الله : لقد بين الله في كتابه الكريم أسباب دفع البلاء ورفعه وأعظمها دفعًا للبلاء ورفعه .

السبب الأول :الرجوع إلى الله تعالى رجوعًا صادقًا:

فالرجوع إلى الله والالتجاء اليه في كل وقت وخصوصًا في وقت الملمات والشدائد والأزمات أكثر وأكثر،قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الروم :٤١] .

---

(١) الجواب الكافي ص (٩٨) .
(٢) مفتاح دار السعادة ج١(١٦٨) .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة :٢١] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف :١٦٨] .

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [1] وبلوناهم أي اختبرناهم بالحسنات والسيئات ، أي بالرخاء والشدة ، والرغبة والرهبة ، والعافية والبلاء ، وكل هذا من أجل الرجوع إلى الله تعالى .

ولكن بنو إسرائيل أهل نكث ونقض للعهود قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الزخرف :٤٨-٥٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف :١٣٣-١٣٥] .

إخوة الإيمان والعقيدة وهذا الخليفة العباسي المهدي بن أبي جعفر المنصور لماهاجت ريح سوداء يقول حارسه وجدته ساجدًا على التراب وهو يقول .اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الأمم ولا تفجع بنا نبينا اللهم إن كنت

(١) تفسير ابن كثير ج٤(١٠٩) .

أخذت العامة بذنبي فهذه ناصيتي بيدك فما أتم كلامه حتى انجلت [١].

السبب الثاني :التوبة والاستغفار:

والتوبة هي الرجوع إلى الله تعالى من معصيته ظاهرًا وباطنًا إلى طاعته ظاهرًا وباطنًا. والاستغفار: هو طلب المغفرة من الله تعالى ، قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة :٧٤] .

إننا نعيش في أحداث مهيلة لا يرفعها الله إلا بالتوبة والرجوع اليه ، ولكن للأسف من الناس من لا يزداد عند الفتن والمحن إلا بعدًا وإعراضًا قال تعالى عن الكفار: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة :١٢٦] .

والاستغفار سبب لمنع العذاب قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال :٣٣].

والاستغفار يورث العافية في البدن والرزق الوفير والثبات على الدين والاندفاع إلى الخير قال الله تعالى: إخبارًا عن نوح عليه السلام﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح :١٠-١٤] .

والاستغفار سبب لرحمة الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ

(١) سير أعلام النبلاء ج٧(٤٠٢) .

يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل :٤٥-٤٦].

فكم يدفع الله من البلاء والعقوبات عن العباد بسبب التوبة والاستغفار، ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴾ [الكهف :٥٥].

وهناك علامات للتوبة جمعها الإمام شقيق البلخي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول[1] : علامة التوبة البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار.

السبب الثالث من أسباب دفع البلاء : التقوى والإيمان :

قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال :٢٩].

وقال الله -سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق :٢-٣].

يا شاكيًا هم الحياة وضيقها ... أبشر بربك قد أبان المنهجا

من يتق الرحمن جل جلاله ... يجعل له من كل ضيق مخرجًا

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن.[2]

(١) سير أعلام النبلاء ج٩(٣١٥).
(٢) الفتح ج٦(١٨٣).

وقال أيضًا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج [١]

وقال الإمام ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-[٢] من أراد دوام العافية فليتق الله، ما أقبل مقبل عليه إلا وجد كل خير لديه، ولا أعرض معرض عن طاعته إلا وتعثر في ثوب غفلته.

وقال أبو سليمان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: من أحسن في ليله كفي في نهاره [٣].

فالله يدفع البلاء والفتن عن أهل التقوى والإيمان .قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

ولما وقعت فتنة ابن الأشعث قال بكر بن عبد الله المزني لطلق بن حبيب: كيف نفعل فقال: اتقوها بالتقوى قيل له اجمل لنا التقوى، قال: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله.[٤]

السبب الرابع من أسباب دفع البلاء: التعرف إلى الله في الرخاء:

قال الله ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وقال الله عن يونس بن متَّى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟

(١) الفتح ج٧(١٥٥).
(٢) مواعظ ابن الجوزي ص(١١١).
(٣) مواعظ ابن الجوزي ص(١١١).
(٤) مصنف ابن أبي شيبه برقم (٣٦٣٠٨).

فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات : ١٤٣-١٤٨].

بخلاف عدو الله فرعون لما كان في رخائه جبارًا عنيدًا ومتمردًا ظالمًا قال الله عنه : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس : ٩٠-٩١].

وقد ثبت عند الترمذي و الحاكم [١] عن أبي هريرة قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال رسول الله ﷺ : « **من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء** ».

وجاء في سُنن الترمذي [٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال : « **يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » ، وفي رواية قال رسول الله ﷺ : «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**» .

وقال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعاء بدعاء كدعاء الغريق » [٣]

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين .

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٣٨٢) الحاكم ج١(٥٤٤) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٥١٦) .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة برقم (٢٩٧٨٣) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله كتب الرحمة لمن اتقاه ، وأعد الشقاء لمن عصى أمره ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وتوبوا اليه واستغفروه وأكثروا من دعاءه وسؤاله.

عباد الله :

السبب الخامس من أسباب دفع البلاء الدعاء :

وما أدراكم ما الدعاء إنه سلاح المؤمنين ، وسبب عظيم لرفع البلاء المبين .

قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ولا تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

عند الطبراني في الأوسط [١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله ﷺ: «**لا يغني حذر من قدر ،والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء ، فيعتلجان إلى يوم القيامة**» .

في سُنن الترمذي و مُسند البزار [٢] عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر** » .

(١) الطبراني في الأوسط برقم (٢٤٩٨) الجامع الصحيح للألباني برقم (٧٧٣٩) .
(٢) الترمذي برقم (٢١٣٩) البزار برقم (٢٥٤٠) الصحيحة برقم (١٥٤) .

قال الإمام الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: « فيه دليل على أنه يدفع بالدعاء وما قد قضاه سبحانه على العبد » .

وثبت عند الحاكم [١] عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء** ».

فالدعاء يا عباد الله عظيم يرفع الله به البلاء والشقاء قال الله تعالى: عن نبيه إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨] .

وقال تعالى عن نبيه زكريا -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤] .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [٢] والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه، ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن. وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه، وإن كان ضعيفا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه. وقد أمر الله عباده بدعائه تضرعًا وخفية قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥] .

و صح عند البزار [٣] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ « مر بقوم مبتلين

---

(١) المستدرك (٤(٤٩٣) وصحيح الجامع برقم (٣٤٠٩) .
(٢) الجواب الكافي ص(١٦) .
(٣) البزار كشف الأستار برقم (٣١٣٤) الصحيحة للألباني برقم (٢١٩٧) .

فقال: أما كان هؤلاء يسألون الله العافية».

وجاء في صحيح مسلم [١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ « عاد رجلًا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟**» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : « **سبحان الله لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، قال: فدعا الله له فشفاه** » .

ففي الصحيحين [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :«**كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من جهد البلاء،ودرك الشقاء،وسوء القضاء،وشماتة الأعداء**».

السبب السادس من أسباب دفع البلاء : التضرع إلى الله الاستكانة إليه تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢] .

وقال سبحانه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[المؤمنون: ٧٥-٧٧] .

---

(١) مسلم برقم (٢٦٨٨) .

(٢) البخاري برقم (٦٣٤٧) ومسلم برقم (٢٧٠٧) .

السبب السابع من أسباب دفع البلاء: تعلم العلم ونشره والدعوة إليه والرحلة في طلبه:

قال إبراهيم بن أدهم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إن الله ليرفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث [١].

وقال ابن فضل عن حمزة بن حبيب الزيات وهو شيخ القراء -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ما حسبت أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة الزيات [٢] .

وقال بعض السلف [٣] : كل بلدة يكون فيها أربعة فأهلها معصومون من البلاء ، إمام عادل لا يظلم ، وعالم على سبيل الهدى ، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويحرضون على طلب العلم والقرآن ، ونساؤهم مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى .

السبب الثامن من أسباب دفع البلاء صنائع المعروف:

فقد صح عند الطبراني [٤] عن أبي أمامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر** » .

وما أجمل كلام خديجة بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا حينما قالت لرسول الله ﷺ ففي البخاري [٥] عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : « **أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء**

---

(١) الباعث الحثيث ص (١٧٥) .
(٢) السير ج٧(٩١) .
(٣) تفسير القرطبي ج٤(٤٩) .
(٤) الطبراني برقم (٨٠١٤) الجامع الصحيح برقم(٣٧٩٧) .
(٥) البخاري برقم (٣) .

فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ قال ما أنا بقارئ قال: « فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ [العلق: ١-٣] .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي».

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [١] فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء ، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه.

السبب التاسع من أسباب دفع البلاء ورفعه التوكل على اللّه تعالى: وهو صدق الاعتماد على اللّه في جلب المنافع ودفع المضار :

قال الله تعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣] .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- [٢] : « من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله » .

والأدلة أكثر من أن تحصى في أن التوكل على الله سبب للوقاية والحفظ والكفاية ، فاللهم ادفع عنا كل سوء ومكروه ، وارفع ماحلَّ بنا من المحن والفتن ، اللهم اكشف ضرنا وتجاوز عنَّا وتب علينا .

أمة الإسلام ثبت عند الترمذي [٣] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فقيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته، وعق أمه، وبر صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء أو خسفًا ومسخًا**». وهذا

(١) الوابل الصيب ص (٧٠) .
(٢) زاد المعاد ج٢(٣٣١) .
(٣) سُنن الترمذي برقم (٢٢١٠) .

الحديث وإن كان ضعيف السند لكن بعض معانيه صحيحة .

نسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يثبت قلوبنا على طاعته ، وأن لا يزغها بعد هدايتها ، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد ، يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمرون بالمعروف ، وينهون فيه عن المنكر .

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، اللهم اشف مرضاهم ، وعاف مبتلاهم ، واجبر مصابهم برحمتك ياذا الجلال والإكرام .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.